الاستقلال فى الأدب

للأستاذ راجى الراعى

الأدب قديم يعود إلى ذلك اليوم البعيد الذى بدأ الدماغ ينسج فيه خيوطه الأولى وله دولته ذات الهيا كل والأبراج والعروش وهى أعظم الدول وأضخمها وأجلها وأبعدها مدى وأغناها.

الأدب عظيم له كلمته الفيحاء الفينانة الخلابة الشاملة أتناولها فيعرض أمامى الأدب القديم مواكبه ويأتى امراؤه الذين ضخموا وأطلنا قاماتهم خلال القرون ويتربعون فى ساحتى قائلين :

نحن أرباب الأدب ودعائمه وأساطينه كتبنا الآيات الرائعات واحتللنا فى قصور التاريخ أفخم القاعات وغردنا فى جنان الأدب على كل غصن فيه فلم نبق غصناً لطائر وهنا حوماتنا فى جميع آفاق الفن واستقطرنا النجوم نجمة نجمة فلم نترك لنيرنا أفقاً ونجمة فى كأسها غمرة وحى وإلهام فما أنت كاتب بعدنا ؟ ماهذا الجنون فيك تأتى بالهواة وقد استنفدنا مدادها ونكتب المقال وترسل الآية وتؤلف الكتاب ونحن أمامك لم نبق لك جديداً ، أنسيت أن العالم قديم وأن الذين فكروا وأحسوا قبل أن ولجت جيوش طريق الاستعمار وضيع أوراق الياناصيب بعد فيض مشروع الخفاء مرالى مبرة محمد على ويوم المستشفيات ، إلى آخر تلك الأشياء التى يسخر منها منظر الملايين من الموزين والجهال والمرضى والحفاة !

لو نظرنا إلى الأمور بمنظار الواقع لعرفنا كيف نسلك الطريق ... هناك مشكلة واحدة وعلاج واحد ، أما المشكلة فهى الفقر وأما العلاج فهو النهضة الصناعية . وبهذه النهضة نقضى على المشكلة الحالة وتخضع من تلقاء نفسها بقية المشكلات . أما السبيل إلى تحقيق هذا الأمل الكبير فهو أن تستغل الأموال المكدسة فى المصارف كما يغسل الرجل العصامى أحد عبود فى سبيل تلك النهضة المنشودة ، وعندئذ تنتعش الثروات التى يعيش لها أغنياؤنا وينتعش المجتمع الذى يعيشون فيه !

(أ . م)

لو عرضت كلها أمام عينيك لسحقتك أعباء القلم وأعماك غبار المبافرة عما أنت فيه ، لقد عصروا رأس الأدب وقلبه ولم يدعوا لك قطرة .

نحن هنا أيها الدهى المغرور ولم نمت بعد وهذه أصواتنا الدوية فى الدهور فقل ، قل أنك تردد أصداءها .

أجل ، أجل ... أن لكم ذهبكم الذى يبرق فى الأدب للقديم ولكن ليس كل ما أخرجتموه للناس ذهباً فى جواره نحاس كثير ، ولكم نفائسكم ولكن ليس ما عرضتموه فى المتاحف كل ما يمكن أن يعرض فيها ، وأنتم أغنياء فى الأدب ولكنكم لم تحتكروا الثروة الأدبية فهناك دنانير لم تضرب فى أيامكم وأسواق للأدب تعرض فيها بضاعة لم تعرفوا حريرها ... أجل ، لقد عصرتم رأس الأدب وقلبه وأسكرتم الناس ولكن خمرة الروح لم تفرغ دنانها فهى دنان الزمان الذى لا تفرغ كأسه ... أنت يا « هيجو » نسر فى الخيال عظيم ولكنك لم تحتل الآفاق كلها ولم تقو على إخضاع أثير الشعر لعبقريتك فلا يحمل غير روحك ولا يطرب لغير صوتك ... وأنت يا شكسبير لست الفن كله ... وأنت يا « روسو » لست رب النثر ... وأنت يا من نظر الأعمى إلى أدبك لست وحدك الذى ينظر إلى أدبه العميان ... أنتم ورفاقكم القدماء موجات فى بحر الأدب والفن والخيال التى لا ساحل له ، وفى وسعى أن آتيكم اليوم وغداً وبعد غد وأنا أسف هذه الشمس فى ثروتها وثروبها بصورة جديدة لم تخطر لكم . وأن ألبس ما أراه وأسمعه ثوباً جديداً ليس فيه خيط واحد من خيوطكم .

أن الوجوه التى أراها والأصوات التى أسمعها هى غير وجوهكم وأصواتكم ، والأدب ليس وقفاً على جيل من الناس وإنما هو مرعى للانسانية لكل أديب مفكر موهوب قطيعه فيه ... أنتم فى الأدب بشر ونحن الذين الهمناكم وأقمنا لكم الهيا كل وجعلنا الكلمة لا صدى لها إلا إذا خرجت من أفواهكم .

نحن الذين خلقنا لكم وجوهها لم يعرفها لكم معاصروكم ، لقد أقصاكم هنا تعاقب الأجيال فى لجة القدم فقام الخيال ينسج نسيجه ويلبسكم الأثواب الفضفاضة التى خاطها الأساطير والأوهام ... أنتم أسياد فى الأدب ولكننا لا نعترف بكم طغاة مستبدين .